تقويم المؤرخ للترجمات

جان دوليل(*)

ترجمة محمد الزكراوي

الترجمة تاريخية خاصة، فعل من أفعال اللغة خاص
[داخل] في مجموع ثقافي واقع في زمان بعينه.

ميشونيك 1999:69

الداخل إلى محترف تقويم ترجمات الماضي داخل إلى قاعة فسيحة الأرجاء، تراكمت فيها على غير ترتيب ولا نظام، مع توالي العصور، ذائعات ومواقف مناقضة للنظرية وآراء مسلم بها سلفا وجهالات ومبهمات وشائعات وتصورات باطلة للسان وللأدب، وغير ذلك من المسائل البالية؛ وهو، إلى ذلك، يتجول في ثنايا ركام مغبر من الأحكام والوصايا. ذلك أنهم كثيرا ما صبغوا بصبغة خلقية مهمة المترجم ونقد الترجمات. والمفردات المستعملة للحكم على الترجمات، منذ العصر الروماني القديم، أي منذ أصول التأمل والنظر في هذا الفن في الغرب، ينتمي نصيب عظيم منها إلى لغة الشعور الخلقي. ألم يصفوا المترجم بأنه «أمين»، «مخلص»، «مدقق»، «بسيط»، «شفاف»، «متواضع»، «متوار»؟ وفي ذلك تقديس للمترجم. ألم يقولوا فيه أيضا: «يخطئ أخطاء شنيعة» أو «خطيرة» أو «جسيمة» أو «لا تغتفر»، ووصفوه أيضا بأنه «غير أمين» وبأنه «يذنب» عن «إغفال» أو عن «إهمال»؟ وبأن لغته «منحرفة»، «فاسدة»، وبأن أسلوبه «منحط»؟ وقضوا بأن «الفهم الخاطئ» «كبيرة من الكبائر». وفي ذلك كله تأثيم للمترجم. تلك اصطلاحات دينية أدخلها فقهاء النصرانية، وكانوا من كبار المتبحرين وكبار المترجمين، عن غير وعي منهم، في الكلام على الترجمة. فما فتئ المترجمون أن استبطنوا ذلك التأثيم فاتهموا أنفسهم به. آية ذلك مارك شابيرو (Marc Chapiro)، مترجم «الإخوة كارامازوف»: فقد صرح بأنه لم يستطع «التخلص من اللعنة الأصلية الحالة بكل مشروع ترجمة» (شابيرو 1956:14).

لكن الاصطلاح الدائر في مجال النشاط الواحد، أيا ما كان، لا بد له من أن يكون دقيقا

(*) أستاذ في مدرسة الترجمة- جامعة أوتاوا (كندا).

مضبوطا لطيفا لكي يكون وجيها حقا. فما المراد عندما يوصف المترجم بأنه «أمين»؟ ما من مترجم إلا ويدعي من نفسه الأمانة. فما معنى ذلك؟ ما الذي ينبغي فهمه من قول المترجم في المقدمة أو في المدخل من ترجمته: «لقد سعينا جهدنا على الدوام في أن نبلغ بالأمانة للمؤلف منتهاها»؟ «الأمانة» في الترجمة لفظ من كثرة تداوله لم يعد يدل على شيء واضح. ويشكو تقويم الترجمات على الخصوص من ضبابية دلالية تكتنف عددا لا يستهان به من المفاهيم المستعملة في نقد الترجمات. ولا بد من أن يأتي يوم يخرج فيه إلى غير رجعة من اللغة الواصفة في علم الترجمة لفظُ «الأمانة» وغيره من الأسماء المبهمة التي تعرقل هذا العلم إن صحت النية في إخراج دراسة الترجمة من المرحلة المعيارية التي استطاع كل علم خليق بذلك الاسم أن يتجاوزها. وبول شافي (Paul Chavy)(1988:119)،الباحث في شؤون العصور الوسطى، واحد من أولئك الذين يودون طرح ذلك اللفظ، وإلا فتعريفه تعريفا دقيقا:

«لفظ ’الأمانة‘ كثيرا ما يستعمله المترجمون الذين يعرضون علينا آراءهم؛ فاتخذ معاني من شدة اختلافها لا مناص، في منظومة اصطلاحية حديثة، إما من إهماله أو من تعريفه بدقة. ما من مترجم إلا ويدعي أنه أمين؛ لكن أمين لماذا؟ وللفظ، عند الجمهور، قيمة ذاتية صرف فلا يدل إلا على الرضا ببلوغ الغاية التي سطروها».

وتقويم الترجمات هو أيضا متخبط في الذاتية. وتقدير جودة الترجمة ليس هو أن تكشف عن حالتك النفسية بين يدي النص المترجم. ليست الترجمة منظرا؛ لذلك وجب اجتناب الأحكام العاطفية أو الخطابية، والنقد المبني على الذوق، والخواطر العفوية، وتوزيع النقط توزيعا لا يقوم على أساس. لكن من شأن مؤرخي الترجمة، وإن لم يكن لديهم تعريفات مهيأة سلفا يقترحونها على نقد الترجمات، أن يساهموا في حصر عدد لا يستهان به من المفاهيم حصرا لا يخلو من منفعة .

لكن كيف يتصور المؤرخ تقويم الترجمات، وهو تحليل ضروري وملازم لعمله؟ ذاك هو السؤال الذي سنسعى في الإجابة عنه في بقية هذه المقالة. نود، مقتدين بأعمال هنري ميشونيك (Henri Meschonnic)، أن نقترح بضعة سبل للنظر وبضعة مفاهيم تنفع في تيسير نقد الترجمات المنتمية إلى التاريخ. فإنجاز ترجمة أدبية جيدة - وهذا الجنس من الترجمات هو ما سنعالجه خاصة - أمر صعب، لن يخالف في ذلك أحد. ولا يقلّ عنه صعوبة تقويم شخص ثالث لتلك الترجمة. ولا ينبغي، في هذا الباب، خشية الصعوبة، بل تعرّف «الطبيعة الحقيقية» لتلك الصعوبة. لن يكون تقويم الترجمة وجيها إلا متى انصب على الصفة المميزة للترجمة. فهذا نشاط يختص بأنه «نوع القراءة الوحيد الذي يتحقق كتابة، ولا يتحقق إلا كتابة» (ميشونيك 1999:177). هو كاشف عن المسائل الخاصة بالنصوص، مختبر للكتابة. تقتضي الترجمة، كتقويم

الترجمات على حد سواء، إطارا نظريا ثلاثيا: نظرية في اللغة، ونظرية في الأدب، ونظرية اجتماعية.

ومما لا يسهل مهمة المؤرخ أن النصوص المدروسة بعيدة في الزمان أو في المكان. وكلما اتسع الفاصل الزماني المكاني (شأن «أوذيسة» هوميروس التي ترجمها مترجمون من القرن السادس عشر والسابع عشر والتاسع عشر) استعصى الوقوف على سياق العمل الأصلي وسياق ترجماته. فكل ترجمة كتابة لوضعها التاريخي الخاص؛ تعكس كل ترجمة ما من شأنه أن يقال وألا يقال في عصر بعينه، في مجتمع بعينه، في حضارة بعينها. والوقوف على ذينك السياقين، مع حمل السياق على أوسع معانيه، لا مناص منه للمؤرخ المعاصر الذي يحركه همُّ اجتناب كل مغالطة تاريخية والحكم على القرون الخوالي بميزانٍ معاييرُه جارية بيننا نحن اليوم (ولم يثبت بعد أنها نهائية). لا يمكن إرجاع عدّاد التاريخ إلى الصفر والتصرف كأن لا تاريخية للمفاهيم وللممارسات اللغوية، وتبعا لذلك كأن لا تاريخية للترجمة. أجل، لا تقدم في الترجمة، كما أنه لا تقدم في مجال الفنون. ليس أوغست رونوار (Auguste Renoir) «متفوقا» على رفائيل (Raphaël) ولا العكس. لكن طريقة الترجمة في عصر بعينه لا تكون عند المؤرخ أجود ولا أفضل من غيرها في العصر الذي قبله أو بعده. إنما تكون «مختلفة»، لا غير. وفائدة تاريخ الترجمة هي، من بين أمور أخرى، تحليل وجه اختلافها ولماذا هي كذلك. ولا يمكن أن يتيسر ذلك إلا بنظر متأن في الترجمات، إلا بفحص النصوص.

قواعد الترجمة

قد يكون، من الناحية المنهجية، نصيبٌ من السذاجة وقليل من الفائدة في أن يجتهد من يريد تقويم ترجمة قديمة في أن يعرف هل واظب المترجم في ترجمته على الامتثال للقواعد أو الأوامر والنواهي التي سطرها هو نفسه أو من سبقه. نستحضر هنا وصايا إتيان دوليه (Étienne Dolet) وجاك بيلتيه دي مانس (Jacques Pelletier du Mans) وغاسبار دي تند (Gaspard de Tende) وأنطوان لومتر (Antoine Le Maître) ودنيال هويط (Daniel Huet) وجون درايدن (John Dryden) وألكسندر فريزر تيتلر (Alexander Fraser Tytler) ووصايا كثير غيرهم من العاملين العالمين. وتلك القواعد شديدة العموم ذات طبيعة لسانية في أغلب الأحوال، فلا تكشف عن تعقيد عملية الترجمة. وإلى ذلك ليس من شأن تطبيقها أن يكون ضمان جودة. لكن لم يعترف أي مترجم، فيما نعلم، بأنه امتثل الوصايا التي سطرها أحد من المنظرين. ليست الترجمة فنا يعتمد التجربة والخبرة ويقوم على التحليل والملاحظة لما يسم نصا من النصوص بسمة التفرد. يقتضي ذلك إبصار ما هو أصلي حقا في لحمة النص. إليك ما أوجز به ت. ر. ستاينر (T. R. Steiner)(1975:28)، في English Translation Theory 1650-1800 («نظرية الترجمة الإنجليزية»)،

قواعد الترجمة العشرة التي أملاها جون درايدن (1633-1700):

The translator must :

1. Be a poet.
2. Be master of both the language of the original and his own.
3. Understand the characteristics that individuate his author.
4. Conform his genius to that of the original.
5. Keep the sense «sacred and inviolable» and be literal where gracefulness can be maintained.
6. Make his author appear as «charming» as possible without violating his real character.
7. Be attentive to the verse qualities of both the original and the English poem.
8. Make the author speak the contemporary English he would have spoken.
9. Do not improve the original.
10. Do not follow it so closely that the spirit is lost.

«على المترجم أن: 1. يكون شاعرا؛ 2. يتقن لغة الأصل ولغته هو على السواء؛ 3. يستوعب السمات التي تميز مؤلفه؛ 4. يطوع عبقريته لعبقرية الأصل؛ 5. يكون المعنى عنده مقدسا لا تنتهك حرمته ويكون حرفيا حيثما تيسرت الأناقة؛ 6. يجتهد وسعه في أن يظهر مؤلفه في مظهر 'ساحر' دون تشويه طبعه الحقيقي؛ 7. يتنبه إلى خصائص النظم في الأصل وفي القصيدة الإنجليزية؛ 8. يجعل لغة مؤلفه الإنجليزية المعاصرة التي كان من شأنه أن يتكلم بها؛ 9. لا يحسّن الأصل؛ 10. لا يفرط في تبعيته له فتضيع الروح».

«القاعدتان» الأوليان في الواقع سابقتان على الترجمة ولا شأن لهما بالنصوص، بل بملكة الترجمة. والرابعة والخامسة تذكران «عبقرية» المؤلف و«المعنى» الواجب امتثاله بتمامه، إلا أن المؤلف تحاشى عن قصد أن يوضح مما تتكون تلك «العبقرية» وكيف يمكن الوصول إلى «المعنى». ما الذي ينبغي فهمه من «سحر» المؤلف (القاعدة السادسة)؟ ما ينبغي ترجمته نص بعينه وصفاته، لا شخصية مؤلف. والثامنة والعاشرة تنمان عن تفضيل المؤلف للترجمات الشفافة. هو ابن عصره. لكنه لا يقول لماذا كانت الترجمة التهذيبية أفضل من الحرفية. وتحظر التاسعة تحسين الأصل. ولا ندري كيف يمكن أن يكون ذلك: فالمترجم لا يشتغل على الأصل، بل على نص آخر يسمى ترجمة. وهذه قد تفوق الأصل. لا ينصب حقا على النص، لو تأملت، إلا قاعدتان: الثالثة، إذ توصي بالوقوف على سمات كتابة مؤلف بعينه؛ والسابعة، إذ توصي باحترام النظم. وهاهنا أيضا، ليست القصيدة عروضا. لا يخطو المرء شوطا بعيدا بهذه «الوصايا العشر»،

ولا بهذه التي لم يزل يرتكبها بين فينة وأخرى بعض المنظرين المزعومين المعاصرين، لسوء معرفتهم برهانات الترجمة الحقيقية ولعدم مواكبتهم تطور النظر في تلك الممارسة. تمارين عفا عليها الزمن تافهة. والواقع، كما ذكره كريستيان برنر (Christian Berner)(1999:18) بوجاهة في عرضه لتصور فريدريش شلايرماخر (Friedrich Schleiermacher) لفعل الترجمة، أن الترجمة «نشاط تتبع فيه قواعد دون التوفر على قواعد لتطبيق القواعد. والمعرفة، في علم الدلالة كانت أو في النحو، ليست بكافية: لا بد من مهارة، من صنعة، من صنعة لغوية هي لب حذق المترجم وفنه». لا تحتمل الترجمة قمصان القواعد والمبادئ شديدة التضييق للخناق. وواقع النصوص المعقد كثيرا ما يكذّب النظريات تكذيبا مفحما.

إغراء فقه اللغة

هل في وسع مؤرخ الترجمة أن يسلك عندئذ سبيل فقه اللغة؟ أن يستحيل لغويا؟ يرقى فقه اللغة، بمعناه الحديث، إلى فجر القرن التاسع عشر[2]. يحقق النصوص ويثبت صورتها. ومتى استحال المترجم لغويا اجتهد في أن تكون ترجمته «صحيحة»، أي في لغة (هدف) لا عيب فيها، و«مضبوطة»، أي بنقل كل ما قدر أنه هو معنى ألفاظ النص (الأصل) وجمله. فهل يستطيع المؤرخ اللغوي الذي يجتهد في كشف الأخطاء الموضوعية التي ترصع نصا مترجما (كالركاكة والمعاني غير الوجيهة والمعاني المضادة والاستعمالات الشاذة والإغفال والزيادات وغير ذلك) أن يتوفر على ما لا بد من معرفته لإصدار حكم على جودة تلك الترجمة؟ كلا. أجل، من النافع أن يأتي التبحر اللغوي فيصحح أخطاء قد تعزى إلى نساخ منهكين أو إلى غفلة المترجمين أو جهلهم. يساهم عمل «التنقية» هذا في فهم أجود للنصوص. ويعمل علماء النقوش القديمة وعلماء اللغة عملا رائعا وضروريا على حد سواء يستفيد مباشرة منه المترجمون (دلسال)(Delsalle) 2000؛ إيريغوين (Irigoin 1999). لكن الصحة والضبط اللغويين يظلان في مرتبة اللسان، دون مرتبة الخطاب، دون شعريات النصوص. ليس النص شكلا ومعنى وحسب. النص «يشتغل» نوع اشتغال، «يصنع» شيئا، وعلى الترجمة، أيضا، أن تصنع ما يصنع النص الأصلي. النص نظام. هو «نظامُ خطابه الخاص» (ميشونيك 1999:247). لا تكون وحدات اللسان فيه وحدات لسان وحسب، بل تكتسب قيمة خطابية. وبعبارة أخرى، ليس إحكام رد معنى نص من النصوص بكاف لرد المعنى برمته في ذلك النص؛ وبذلك يتبين وهم الطريقة اللغوية[3]. تصحيح كافة أخطاء ترجمة بعينها استجادة لدقتها الدلالية والمعجمية، لكنه لا يجعل بذلك منها «نصا» أجود. في كتاب فلوطرخس Vies parallèles (Plutarque) («السير المتناظرة») الذي ترجمه جاك أميوط، على ما ذكر الأكاديمي كلود غاسبار باشيه دي مازيرياك (Claude-Gaspar Bachet de Méziriac) (1998)، أكثر من ألفي موضع جاء المعنى فيها «محرفا». هي أخطاء لا مراء في حقيقتها. لكن

فلوطرخس أميوط هو الذي يقرأ إلى يومنا هذا، ويعاد طبعه (غاليمار)(Gallimard)، 1955. وليست تلك حالة فريدة. لا يقاس طول عمر الترجمة بدقتها اللغوية. والنسخ الجديدة «المراجعة برمتها المصححة» لا تكون بالضرورة أجود من سابقاتها. وعلى العكس من شأن ترجمة رديئة أن تخلو من الأخطاء. فليس هاهنا ينبغي أن يطلب سبب توفق ترجمة أو إخفاقها.

اللسانيات المقارنة

فما الرأي عندئذ في اللسانيات الخلافية، تلك «الشعبة من اللسانيات التي موضوعها مقارنة لسانين أو أكثر في مستويات المعجم والتركيب والأسلوبيات لإبراز مشابهها واختلافاتها» (دوليل ولي-يانكه وكورميه (Delisle, Lee-Jahnke et Cormier 1999:51)؟ ألا يمكّن إجراء مقارنات دقيقة على كافة المستويات من الحكم على جودة الترجمة بالقياس إلى الأصل وإلى غيرها من الترجمات؟ بما أن نقطتي الانطلاق لسانيتان، أفليس من المباح شرعا تطبيق منهج في التحليل لساني محض؟ هنا أيضا ينبغي الجواب بالنفي. للسانيات الدلائل بألفاظها وتراكيبها وجملها كما لا يخفى منفعة لا تنكر، إلا أن منفعتها تتوقف عند الملتقى الذي تنجم فيه مسائل الخطاب وفعل القول. ليس النص في ذاته أقوالا متتالية. ومع ذلك ترى أن تاريخ الترجمة قد كتب انطلاقا من أولوية اللسان وثنائية الدليل (مضمون / شكل). لا يمكن إدراك الخطاب، أو قل لا يمكن إدراكه برمته بمفاهيم اللسان. «الخطاب من قبيل المتصل. واللسان، بوحداته، من قبيل المنفصل» (ميشونيك 1999:151). لا يكون النص «في» اللسان بمنزلة المحتوى في المحتوي. النص نشاط تاريخي تقوم به ذات؛ فهو من تلك الحيثية تحقيق وتحويل للسان بالخطاب. «يقتضي الخطاب الذات، يسجل في اللسان، بوتيرة وإيقاع، شفهيتها، طبيعتها» (ميشونيك 1999:74). ولئن صح أن المؤلف يصب خبرته الشخصية، مع حمل الخبرة على معنى واسع، فقد صح أيضا أن المترجم يبث هو أيضا خبرته الشخصية في ترجمته. يسمها ببصمته، فيعطيها صفتها التاريخية. لذلك كانت العبارات الجارية، مثل «مترجم من الإنجليزية» أو «مترجم من الروسية»، عبارات خادعة، لأن اللسان لا يكون البتة هو المترجم، بل المترجم دائما خطاب من لسان، أي تفرد إن صح القول. ذاك فرق لطيف سيفوت الناشرين لأمد طويل، إلا أن له أهمية نظرية ومنهجية في تقويم الترجمات. كم وددنا لو يكون هنري ميشونيك مصيبا عندما قال: «يمكن الجزم بأن النظرية التقليدية في الدليل والترجمة، بالنظر إلى عائدتها النظرية، قد عفا عليها الدهر» (ميشونيك 1999:152). لا بد من الاعتراف بأن المقاومات لم تزل شديدة وبأن نظرية الدليل التقليدية لم تزل حية. وفي هذا القرن الحادي والعشرين لا يمكن التساهل والنظر إلى تقويم الترجمات بمفاهيم اللسان وحسب. فالمؤلف يحول قيما لسانية إلى قيم خطابية. والمسألة برمتها هي أن تعرف هل استطاع المترجم هو أيضا أن يحقق ذلك التحويل بالقدر نفسه من التوفيق، وهو

أضعف الإيمان.

ترجمة الغيرية

القراءة التاريخية عند مؤرخ الترجمة لا تعني تعرف حضور ذات في خطاب وحسب، بل هي أيضا رؤية تلك الذات في المجتمع الذي عاشت فيه والصلات التي كانت بينها وبين الآخر. وهذا أيضا يستشف في ترجمتها. أجود شاهد على ذلك ترجمة القرآن اللاتينية الأولى في القرن الثاني عشر. هي حملة صليبية فكرية كلامية شنها بطرس المكرم (حوالي 1092-1156)، راهب بندكتي. استطاع راهب دير كلونيه (Cluny) هذا، بسخائه بالمال، أن يجمع مترجمين نصارى تركوا على مضض أشغالهم العلمية. كانت الفرقة مكونة من روبير دي ريتين (Robert de Rétines) وهرمان الدلماتي (Hermann le Dalmate) وبطرس الطليطلي (Pierre de Tolède) ومسلم اسمه محمد. والغاية من المشروع: ترجمة الآخر لإحكام محاربته في ميدانه، وصد الملحدين، هؤلاء «الأنذال»، «الكفرة»، «الهمج». قال راهب كلونيه، متحدثا عن الإسلام وعن مشروع ترجمته (نقلا عن لوغوف (Le Goff) 1985:21-22).

«غاظني أن أرى اللاتين جاهلين سبب تلك الضلالة وأرى جهلهم مانعا إياهم من السبيل إلى مقاومتها؛ إذ لا أحد يجيب، لا أحد يعرف. فذهبت أطلب المختصين في اللسان العربي الذي مكّن هذا السم القاتل من التفشي في أكثر من نصف الكرة الأرضية. وأقنعتهم بكثرة التوسل والمال بأن يترجموا من العربي إلى اللاتيني تاريخ ذاك البئيس ومذهبه وشرعه نفسه المسمى قرآنا. ولكي تكون الترجمة غاية في الأمانة ولا يشين أي خطأ كمال فهمنا، ألحقت بالمترجمين مسلما. [...] نقبت هذه الفرقة في بطون خزائن تلك الأمة الهمجية فأخرجت منها كتابا ضخما نشروه للقراء اللاتين».

للمؤرخ القادر على مقارنة النص العربي بترجمته اللاتينية أن يقدّر أمر «الأمانة» في تلك الترجمة المنجزة في عصر الحملات الصليبية الكبرى لغايات النقض. أي صورة عن الآخر استوردت في تلك الترجمة؟ تذكّرنا هذه الحالة المتطرفة، وقد اخترناها عن قصد، بأن كل عمل أجنبي يحمل في طياته غيرية، وبأن المجتمع يبدي، حسب العصور والملابسات التاريخية والرأي السائد[4] في الوقت، انفتاحا متفاوتا على الآخر. وفي الترجمات الحجة على أن المجتمع لا يستقبل الأجنبي استقبالا لا يتغير في كافة عصور تاريخه. لكل مجتمع طريقة في الترجمة متعينة في التاريخ وفي كل ترجمة بصمة من العصر الذي شهد نشأتها. والذات حاضرة في الترجمة، كما أنها حاضرة في العمل. ليس المؤلف ولا المترجم أمورا مجردة. ومن أنكر ذلك أنكر نفس خصوصية الكتابة. فالقراءة التاريخية على ذلك هي أيضا طلب الكشف عن الكيفية

التي ردت بها الغيرية أو أغفلت. جودة الترجمة رهينة أيضا بذلك.

التاريخية (Historicité) والوقتية (Historicisme)

يدعو تقويم ترجمات الماضي دعوة صريحة إلى الفرق بين مفهومي التاريخية والوقتية. تتعرف الوقتية بأنها «حصر المعنى في ملابسات إنتاج المعنى التاريخية» (ميشونيك 1999:131). هي، كما مثل لها هنري ميشونيك، حصر معنى مسرحيات راسين (Racine) في المعنى الذي كان للألفاظ في وقت راسين. تجمد في التاريخ معنى الألفاظ عند ذلك المؤلف الكلاسيكي، فاستقر، ولم يعد يتطور. أما معنى مسرحيات راسين فلم يتوقف. تلك هي الوقتية[5]. أما التاريخية فعلى العكس مفهوم عرفه تعريفا مختلفا ثلاثة مؤلفين على الأقل، هم جورج مونان (Georges Mounin) وفريدريش شلايرماخر وهنري ميشونيك.

فلنذكّر في عجالة بأن جورج مونان أطلق ذلك المصطلح على القرن التاسع عشر المتميز بالجملة بعودة إلى الترجمات الحرفية، ردا على ممارسة الخوائن الحسان، جنس ساد في القرنين السابقين في فرنسا وإنجلترا في مجال الأدب. شهدت «مرحلة التاريخية» هذه نشأة ما سماه «الترجمة الإحياء التاريخي» (مونان 1994:67 وما بعدها). تلك العناية بإعادة إحياء تاريخية الأعمال وافقت، فيما وافقته، ظهور التاريخ علما مستقلا. أما فريدريش شلايرماخر فأطلق مصطلح التاريخية على اللسان إذ يتصوره كائنا تاريخيا: «اللسان كائن تاريخي؛ فلا يمكن أن يكون له معنى صحيح دون معنى تاريخه» (شلايرماخر 1999:57). وعلة ذلك أن دلالة الألفاظ تتغير بتغير المعينات المكانية (كلهجات اللسان الواحد) والزمانية (كالمراحل اللغوية المتميزة). وتلك التاريخية من أثرها أن علينا، بعد مدة تطول وتقصر، أن نترجم خطاباتنا نحن أيضا بسبب تطور اللسان. هي تتضمن تاريخية المفاهيم والمعرفة: لكل مفهوم تاريخه. فكأن المفهوم «راسب» الأحكام التي كونته على طول الزمان. ولكل صورة لغوية أيضا تاريخها. ويخرج منه أن لسانين اثنين يقترحان رؤيتين للعالم مختلفتين وأن اللسانين اللذين يستعملهما المترجم ليس لهما تاريخية واحدة. ولا يخفى أن لذلك آثارا على السواء في الترجمة وفي تقديرها التاريخي.

أما التاريخية كما عرفها هنري ميشونيك فعلى عكس ما يوحي به اللفظ: ليست مفهوما زمانيا ولا وضعية في الزمان، بل توترا بين ما كان حاضرا (وصار ماضيا، منفعلا، منتهيا) واختراع صيغ جديدة في الكلام، في الرؤية، في الإحساس، في الفهم. «تاريخية الترجمة [...] دالة [...] انتقاش الذات فيها» (ميشونيك 1999:25)، مع دلالة الذات هنا على أقصى ما يكون في الخطاب من ذاتية[6]. فينبغي النظر إلى التاريخية على أنها السمة المميزة لعمل أبدع في لحظة معلومة وفي سياق تاريخي بعينه إلا أنه ليس منغلقا في ملابسات إنتاجه (وهي الوقتية)، بل يظل حيا،

ويكون له أثر، ولا ينفك يقرأ. فمن الترجمات ما مات ونسي، ومنها ترجمات حية، لأنها تخترع من جديد، تتجسد من جديد في تاريخية حركية أخرى. فعلى ذلك يقتضي مفهوم التاريخية نظرية في الذات، ونظرية في الخطاب، ونظرية في الأدب.

عندما يقوّم المؤرخ ترجمة يجتهد في أن يعرف هل استطاع المترجم الحفاظ على تاريخية النص، لا باستيراد محاك (وهو النص المرآة المزعوم) ولا بحقن لتلك التاريخية في نصه، بل باختراع متجدد مبدع، بعمل كتابي. فإن كان كذلك كان بين يديه ترجمة موفقة. «الترجمات الأخرى [الترجمات المخفقة] متوقفة، وتوقف النص» (ميشونيك 1999:183)، فيطويه النسيان. صنيع مسيء إلى العمل. يقتل نزعُ التاريخية العمل. يحدث ذلك في القصيدة على سبيل المثال عندما يرد المترجم معنى القصيدة ردا كاملا، عندما يرد معنى القصيدة برمته، لكن لا يرد إلا معنى القصيدة. يخلو ذلك من الشعر. يكون الإيقاع[7]، والعروض، والشفهية[8] قربانا يضحى به على مذبح الصحة الدلالية والنحوية. Le jour n'est pas plus pur que le fond de mon cœur: بيت راسين هذا متى لم يترجم منه إلا المعنى إلى لسان أجنبي قد يعطي شيئا مبتذلا مثل: «ما النهار بأصفى مما يكنّ فؤادي»[9]. على تلك الشاكلة ترجمت أعمال كاملة. تبعث التاريخية على تجديد الترجمات، على اختراع عروض وموازين جديدة. تغير القراءة لأنها دائما تنقل الترجمة من اللسان إلى الخطاب. وذاك بعدُ هو عين «شعريات الترجمة»، أن تطلب ما في النصوص الأدبية من خصوصية وتاريخية. «النص معنى أشكاله مثلما هو معنى ألفاظه» (ميشونيك 1973:420).

يبين تطبيق مفهومي التاريخية والوقتية على الترجمات السبب في أن بعض الترجمات، كالأعمال الأصلية، لا تشيخ، بيد أن بعضها يهرم. يكون للأولى مصير الأعمال الكبرى، لأنها تحمل في طياتها تاريخيتها. ذاك شأن «سبعينية» (Vulgate) القديس إيرونيمس (Saint Jérôme)، و«السير المتناظرة» لفلوطرخس بترجمة جاك أميوط (1513-1593)، وKing James Bible («الكتاب المقدس المنسوب إلى الملك جيمس») (على ألا يعزب عن الذهن أن تلك النسخة أساسها الترجمة الرائعة التي صنعها وليام تنديل (William Tyndale)، المقتول حرقا سنة 1536 لأنه تجرأ على ترجمة الكتاب المقدس)، و«ألف ليلة وليلة» بترجمة أنطوان غالان (1646 (Antoine Galland-1715)، وRemembrance of Things Past («ذكرى أمور مضت») في ترجمة سكوت مونكريف (C. K. Scott Moncrieff-1930) (1889)، وLe Roman de Tristan et Iseut («رواية تريستان وإيزولدة») للشاعر الإنجليزي النورمندي طوماس (Thomas) (من أهل القرن الثاني عشر) في الترجمة التي جددها جوزيف بيديه (1864-1938) (Joseph Bédier): كلها حجة على أنه من الممكن أيضا، بالاعتماد على شذرات وحسب من عمل أصلي، تجديد إبداع عمل آخر ذي تاريخية متميزة. تلك

الترجمات، وإنما هي غيض من فيض، تحيا حياة الأعمال الأصلية. هي، على نواقصها، ترجماتٌ-أعمال.

والترجمات الهرمة هي معظم ما لم يعد يقرأ، هي الترجمات الوقتية المنزوعة التاريخية، التي بليت. ترجماتٌ-لسان، ترجماتٌ-معنى، ترجمات غير متجددة الاختراع، لا حضور فيها للذات؛ باختصار ترجماتٌ لا-نصوص. هي رباعيات الأدوار عند شكسبير في أبيات اسكندرانية أو دون قوافي، هي «جهنم» (Enfer) دانتي (Dante) غير القروء التي ترجمها إلى الفرنسية في القرن الرابع عشر إميل ليتريه (1801-1881) (Émile Littré). وهي كذلك الخوائن الحسان والترجمات المحاكية، إذ ينبغي نبذهما معا لأنهما استراتيجيتان في الترجمة مفرطتان لا تحترمان الأعمال، لأن إحداهما تحابي القراء والمواضعات الاجتماعية وقواعد حسن السلوك، والأخرى تبجل اللسان وتقدس النص الأصلي. عجز مؤلفو تلك الترجمات عن مقاومة طغيان الجمهور في الحالة الأولى وطغيان العمل الأصلي في الأخرى. لم «يُعملوا» ترجمتهم، لم يجعلوا منها عملا كتابيا، وآثروا سلوك سبيل اليسر، سبيل المحو أو الاشتقاق الضيق، عوض أن يردوا ضرورة بضرورة.

أولوية الإيقاع

لا يستطيع المؤرخ الاستغناء في تقويم الترجمات عن مفهوم التاريخية. فهذا المفهوم، مع مفاهيم الإيقاع والعروض والشفهية المقترنة به، يصلح أيضا لبيان السبب في أن من الترجمات ما يفوق الأصل، من غير أن يكون المترجمون عامدين حقا إلى «تجويد» العمل الأصلي[10]. ذلك أنهم مهروا في استغلال موهبة «المبدع المجدد» لديهم، فأخرجوا ترجمةً-عملا، «أصلا ثانيا»، كما أجاد قول ذلك هنري ميشونيك (1999:275). والمثال التالي اختير لبيان أمرين اثنين: أ) أن الإيقاع ليس مفهوما حكرا على القصيدة، ب) أن الترجمة-النص تفوق الترجمة-المعنى. لذلك الغرض اخترنا ترجمة بيار بايارجون (Pierre Baillargeon) لأولى روايات آرثر كونان دويل (Arthur Conan Doyle)، A Study in Scarlet («دراسة في القرمزي») (سنة 1887). وُضعت تلك الترجمة سنة 1956 بطلب من روبير لافون (Robert Laffont)، ونشرت سنة 1994 في دار غاليمار[11]. ووضعت أربع ترجمات أخرى لتلك الرواية (سنة 1903، و1933، و1946، و1997)، لكن لا تفوق أي واحدة منها ترجمة بايارجون لأنها وحدها ذات إيقاع وشفهية يخلو منهما الأصل. والفقرة التالية شاهد على الرواية برمتها وعلى طريقة الترجمة عند المترجم، وهي في أول الفصل السابع:

The intelligence with which Lestrade greeted us was so momentous and so unexpected that we were all three fairly dumb-foundered. Gregson sprang out of his chair and upset the remainder of his whisky and water. I stared in silence at Sherlock Holmes, whose lips

were compressed and his brows drawn down over his eyes.

ترجمة بيار بايارجون دويل (Doyle)(1956:77):

La nouvelle nous frappa de stupeur. En se relevant d'un bond, Gregson répandit le reste de son whisky. Je regardai en silence Sherlock Holmes. Il pinçait les lèvres et fronçait les sourcils.

«تحيرنا من وقع الخبر. نهض غريغسن في وثبة فأهرق سؤر مشروبه. نظرت في صمت إلى شرلوك هولمس، يزم شفتيه ويقطب حاجبيه».

ينتهي الفصل السادس برد من المفتش ليستراد يعلن فيه مقتل جوزيف سترانغرسن، ولم يكن متوقعا. ترجم بيار بايارجون ناظرا إلى السياق المعرفي[12] وإلى شدة توتر المشهد وأنه يتطلب إيقاعا خاصا، فأصاب في رد ذلك المقطع بواسطة التضمن[13] وجمل قصار. ليس الغرض أن تنقل ألفاظا كما هي، بل أن تنقل، بواسطة ألفاظ تكتسب قيمة خطابية، جو السر والتشويق الذي تسبح فيه الرواية البوليسية عادة وهذا المقطع خاصة. لقد أجاد المترجم، بوسائل لغوية معدودة (أقل من 30 لفظا، وفي الأصل 55)، وباستغلال أمثل لإمكانات الإيقاع (وهو من قبيل الخطاب)، في رد سمة المباغتة في ذلك الحادث الطارئ. تلك الجمل القصار في أسلوب بيار بايارجون القاطع «تترجم» جيدا استجابات الشخصيات وتوترات الدخيلة[14]. ليس ذلك موضع الكلام الطويل العريض. وليس للترجمات الأربعة الأخرى فاعلية ترجمة بايارجون، لحضوره في نصه، وخاتمُه الإيجاز. هي جميعا خلو من أي تاريخية. ومن المحتمل أنها لا يعاد طباعتها إلا لدواعي النشر وللمنافسة بين الناشرين وحرصهم على ما لهم من حقوق التأليف. أما القراء فبالجملة قلما يشترطون جودة اللغة في الروايات البوليسية. لذلك لا يمكن أن يكون النجاح التجاري الذي تحققه الترجمة معيارا تقويميا للحكم على جودة الترجمة. إليك، على سبيل المقارنة، ترجمة رونيه ليكويه (René Lécuyer)(1933) وآخر ترجمة صدرت، بقلم كاترين ريشار (Catherine Richard)(1997)، وهما معا «ثرثارتان» إذ فيهما على الوِلاء 64 لفظا و48:

La nouvelle que venait de nous annoncer Lestrade était si stupéfiante et si imprévue que nous en restâmes tous les trois complètement confondus. Gregson se leva d'un bond en renversant ce qui restait de whisky dans son verre, et pour ma part, je me pris à scruter en silence la figure de Sherlock Holmes qui avait aussitôt pincé les lèvres et froncé les sourcils. (Doyle 1933:113)

«كان في الخبر الذي أنماه إلينا ليستراد من الدهشة والمباغتة ما حيرنا نحن الثلاثة. نهض

غريغسن واثبا فأهرق سؤر الويسكي في كأسه، أما أنا فأخذت في النظر في صمت إلى وجه شيرلوك هولمس وقد زم عندئذ شفتيه وقطب حاجبيه».

L'information que nous assena Lestrade était à ce point capitale et inattendue, que Holmes, Gregson, et moi en restâmes tous les trois positivement abasourdis. Gregson bondit de son fauteuil, renversant son fond de whisky. J'observai sans mot dire les lèvres fortement pressées, et les sourcils froncés de Holmes. (Doyle 1997:65)

«كان الخبر الذي ألقاه علينا ليستراد من الخطورة والمفاجأة أنني أنا وهولمس وغريغسن ظللنا نحن الثلاثة متحيرين. وثب غريغسن من كرسيه، فأهرق سؤر مشروبه. شهدت في صمت شفتي هولمس مزمومتين وحاجبيه مقطبين».

استغلال وسائل الخطاب، كما فعل بيار بايارجون، استغلالا إبداعيا، لترجمة «معنى العمل» بأجود ما يمكن، دون تشويهه، دون اقتباسه، دون إيجازه، أمر ليس هو «إعادة كتابة» المؤلف. ذلك ممكن، إلا أنه ليس بترجمة، بل هو محاكاة، أو معارضة، أو اقتباس. لا يوجَز النص الأدبي.

وظيفة النصوص

على المؤرخ أن يأخذ بعين الاعتبار في تقويم النصوص وظيفة النص الذي يفحصه. سنتخذ «الكتاب المقدس» مثالا نوضح به المراد. لئن كان تاريخ الترجمة هو تاريخ الترجمات المتكررة للعمل الواحد فذلك يصدق من وجهين على «الكتاب المقدس». هذا الكتاب بلا منازع من شأنه أن يترجم لغايات مختلفة: لسعة العلم، وللتوثيق التاريخي، وللدعوة العقدية، وللشعائر الدينية، وللصلوات الخ. يحدو بعضَ المترجمين الرغبة المحمودة في أن يكشف لمن لا يعرف العبرية محاسن ذلك النص الإيقاعية وشفهيته، أن يكشف لهم يهوديته، عبريته[15]، فاستعملوا استراتيجية الترجمة الحرفية المطلقة، وهي الترجمة-النسخ. وتكمن تلك الاستراتيجية في الذهاب إلى حد نقل المعنى الأول أو الاشتقاقي في ألفاظ الأصل إلى النص الهدف. وليس ذلك الصنيع في نفسه من المحرمات، لكن إن كانت ترجمتهم موجهة لا إلى المتخصصين بل إلى جمهور المؤمنين فقد نسوا عندئذ وظيفة النص المقدس الأولى عند المؤمن. ذلك أن قارئ «الكتاب المقدس» يطلب فيه حقيقة، نورا روحيا من شأنه أن يهديه. فعلى «الكتاب المقدس» أن يتكلم بلسانه، أن يصاغ صياغة يفهمها أكبر عدد ممكن، من غير أن تتخذ تلك الصياغة الثانية صورة نص مفرط التبسيط لا ينظر إلا إلى معنى الرسالة المقدسة. فما عسى أن يفهم قارئ فرنسي للكتاب المقدس وبين يديه نسخة أندريه شوراقي (1989)، مثلا، ويجتهد في فهم فقرات كهذه:

Sept jours
Élohîm dit: «La terre gazonnera du gazon,
herbe semant semence,
arbre-fruit faisant fruit pour son espèce,
dont la semence est en lui sur la terre». (Genèse 1, 11)

سبعة أيام

وقال الله: لتنبت الأرض نباتا، عشبا يبزر بزرا، شجرا ثمرا يعمل ثمرا كصنفه، بزره فيه على الأرض. (سفر التكوين، 1، 11)

Tour de Baèl [sic]
Et c'est toute la terre, une seule lèvre, des paroles unies.
Et c'est à leur départ du Levant,
Ils trouvent une faille en terre de Shin'ar et y habitent.
Ils disent, l'homme à son compagnon :
«Offrons, briquetons des briques! Flambons-les à la flambée»
La brique est pour eux pierre, le bitume est pour eux argile. (Genèse 11, 13-)

برج بائل [كذا!]

وكانت الأرض كلها شفة واحدة وكلاما واحدا. وكان أنهم في ارتحالهم من المشرق وجدوا فجا في أرض شنعار فأقاموا فيه. وقالوا، الرجل منهم لصاحبه: قربوا، نلبن لبنا! ونشوهِ شيا. فكان لهم اللبن حجرا، وكان لهم الحُمَر[16] طينا. (سفر التكوين، 11، 1-3)

Purification de l'accouchée
Ayant rempli les jours de sa purification,
pour un fils ou pour une fille,
elle fera venir un mouton d'une année pour montée,
le fils d'une palombe ou d'une tourterelle pour défauteur,
à l'ouverture de la tente du rendez-vous, au desservant. (Lévitique 12, 6)

طهور النفساء

ومتى كملت أيام تطهيرها لأجل ابن أو ابنة تأتي بخروف حوليّ مُحرَقةً وفرخِ حمامة أو

يمامةٍ ذبيحة خَطِيّةٍ إلى باب خيمة الاجتماع، إلى الكاهن. (سفر اللاويين، 12، 6)

ولم ينفرد أندريه شوراقي بتعاطي تلك الاستراتيجية في الترجمة. يتبين، دون حاجة إلى معرفة العبرية أو اليونانية، أن منهجه نزع عن نص «الكتاب المقدس» وظيفته الأولى فأحاله سفسافا، أعجوبة من الأعاجيب. فنعتت تلك الترجمة الغريبة بأنها «كارثة». وقد سبقه في ذلك المنحى إدموند فليغ (Edmond Fleg)(1874-1963). عرض استراتيجيته قائلا:

«حمل الألفاظ قسرا على معاني جديدة وأحيانا غير مناسبة، وإدخالها قهرا في تراكيب غير مسموعة وأحيانا مزعجة، فيهما جراءة أُحلّت منذ القديم لشعرائنا، وحُرمت أحيانا على مترجمينا.

ومع حصرنا إياها في الحدود التي لا بد منها لم نتورع في الاستكثار منها، بالغين حد الالتزام برد اللفظ العبري الواحد بلفظ فرنسي واحد - آملين أو طامعين أن يكون هذا النص أقرب ما يمكن إلى النص الأصلي». (فليغ 1959)

إليك مقتطفين من تلك الترجمة-النسخ:

Dieu dit: — De végétal que se végète la terre : herbe semant semence, arbre-fruit faisant fruit pour son espèce, qui a eu soi sa semence sur la terre. Et fut ainsi. (Genèse 1, 11)

قال الله: من نبات فلتنبت الأرض: عشب يبزر بزرا، شجر ثمر يعمل ثمرا لصنفه، كان له هو بزره على الأرض. (سفر التكوين، 1، 11)

Et Dieu bénit le jour septième, et Il le fit saint ; car, en lui, Il chôma de tout son ouvrage que Dieu créa, pour faire. (Genèse, 2, 3)

وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من عمله كله الذي خلقه الله، ليفعل. (سفر التكوين، 2، 3).

تاريخ ترجمة «الكتاب المقدس» والنصوص المقدسة والدينية حافل بتجارب كهذه مفرطة في الحرفية. ومن أوائل الترجمات-النسخ للكتاب المقدس الترجمة اللاتينية التي وضعها أكويلا (Aquila) (في القرن الثاني): ترجم الألفاظ القصار بألفاظ قصار، والألفاظ الطوال بألفاظ طوال، والمؤنث بمؤنث، والمذكر بمذكر. وكان القديس إيرونيمس يتهكم منها. والنصوص المقدسة، أيا ما تكن الأديان أو الحضارات التي شهدت نشأتها، قابلة للحرفية المفرطة المزورة. وتقوم الترجمات الاشتقاقية، كترجمة أندريه شوراقي، على سوء فهم: تعتقد أنها أفهمت الأصل وهي إنما أبدعت غلطا واستكثرت من المتباينات. ليس المرجو فهمه اللسان، بل نص وما يريد قوله ذلك النص.

المتباينات

المراد بالمتباينات الاضطرابات المعجمية والبلاغية والأسلوبية والإيقاعية والعروضية (النظمية) التي تشوب بعض النصوص المترجمة. وتتميز تلك العناصر غير الملتئمة، فيما تتميز به، بانعدام وحدة اللسان، ووحدة الأسلوب، ووحدة النبرة: مستويات في التعبير غير متوافقة أو هجينة، تشويهات دلالية، استعمال للمغالطات التاريخية والمهجور من غير ضرورة، معجم متهافت، مخالفة للمواضعات الأدبية، شفهية مزيفة، لهجات مزورة. متى كتبت، مثلا، أن برج بابل استعملوا في بنائه «الحُمَر» (bitume) (شوراقي 1989؛ سوغون 1955) فقد أتيت بمغالطة تاريخية، بمتباين. وقد سمى فريدريش شلايرماخر (1999:61) ذلك «تنوعا مزركشا» (bunte Verschiedenheit). وهو العيب الذي يشين طرفا صالحا من الترجمات التأصيلية، ومن الترجمات التهديفية أيضا. وذهب جورج مونان إلى حد نعت ذلك الداء بأنه «عاهة مزمنة في فن الترجمة» (مونان 1994:80). «هذه الغفلة المطلقة أو يكاد عن المتباينات لا بد من الاستمرار في فضحها لأنها كثيرة عند المترجمين المتبحرين: يسحرهم حل كل مسألة من مسائل اللسان على انفراد، فيفوتهم معنى المجموع» (مونان 1994:99؛ والتنبيه في النص). فعلى ذلك ليس في الوسع تقويم الترجمة دون إيلاء المتباينات بالغ الأهمية.

إلى هنا رأينا أن تقويم ترجمات الماضي ليس في الوسع تحقيقه باعتماد قواعد الترجمة التي أوصى بها بعض المترجمين. والتحليل اللغوي واللسانيات المقارنة ليسا أيضا بكافيين، وحدهما، لتقدير صفات النص المترجم. فعلى المؤرخ أيضا أن ينظر في الطريقة التي ردت بها غيرية العمل الأصلي وأن يجتهد في أن يعرف كيف أتت تاريخيتها، إن كان لها تلك الصفة حقا. يتبين أن الإيقاع والعروض والشفهية مفاهيم نافعة في ذلك النظر. وعلى المؤرخ أن يتنبه أيضا إلى وظيفة النصوص وإلى المتباينات التي تنزع عن النص التئامه.

هذه النظرة العجلى إلى بعض أهم معايير تقويم الترجمات لن تكتمل إلا متى تضمنت تعريفا للترجمة الجيدة والرديئة، مع العلم أن لهما تعريفات أخرى. ومع العلم أيضا أن الترجمة الموفقة قد لا تخلو من أخطاء وأن الترجمة المخفقة قد تكون مع ذلك وجيهة بالنظر إلى وظيفتها. في هذا الباب ليس كل شيء أبيض أو أسود. أنى يكون ذلك... وينبغي كذلك الاعتراف بأن تقويم الترجمات يختلف في النص التداولي[17] عنه في العمل الأدبي.

تقويم النصوص التداولية

لا يكون النص التداولي في اللسان كما يكون فيه النص الأدبي. فترجمة النصوص التقنية-العلمية، مثلا، تكون - في لبها - بالقياس إلى المسميات، بيد أن العمل الأدبي يدمج المسمى

والمقام ولاسيما الذات في الخطاب. والذات، كما لا يخفى، حاضرة أيضا حضورا متفاوتا في النصوص التداولية، لكن لا يكون لذلك من التبعات ما يكون له في النص الأدبي. ليس عقد التأمين عملا، إلا أنه مع ذلك نص. والنصوص التداولية أولا وقبل كل شيء أدوات تواصل تكون في الأغلب مجهولة المؤلف (مثالها التقرير الإداري)؛ أما النص الأدبي فعلى العكس ذو إمضاء. ويحرر النص التداولي في المعتاد بالنظر إلى موجه إليه شبه متعين (كالإعلان الإشهاري الذي يقصد جمهورا بعينه)، وفق قواعد كتابية (والمراد القواعد التي تحكم شكل عرض النصوص وتكون في المعتاد مقننة في سنن) واصطلاحات خاصة (كالنص التشريعي). ثم إن النصوص التداولية لا تقرأ للاستمتاع، كما تقرأ الرواية والقصيدة. تقرأ للضرورة ولأنها نافعة. لا يعيد أحد قراءة جرائد خمسين سنة خلت، إلا المؤرخون والباحثون.

تقويم ترجمة نص تداولي - وتاريخ الترجمة يعنى أيضا بالنصوص غير الأدبية - هو أن تجتهد في أن تعرف هل إعادة صياغته في لسان آخر «صحيحة» (هل ترد معنى الرسالة الأصلية؟)، «موافقة» لقواعد كتابة الجنس الذي ينتسب إليه ذلك النص (هل كتب النص التشريعي كما تكتب النصوص التشريعية؟)، «مضبوطة» (هل مصطلحاتها صحيحة موافقة للاستعمال الجاري في مجال تخصص بعينه؟)، «وجيهة» (هل من شأن النص المترجم أن يؤدي على أمثل الوجوه الوظيفة المسندة إليه في نص الوصول، وهي وظيفة قد تختلف عن وظيفة النص الأصلي؟). هذه الطائفة العظمى من النصوص تتمخض بالجملة اليوم عن ترجمات تهديفية. وقوانين التواصل والعقل السليم يقتضيان ذلك. وذاك أيضا ما يلقن في المدارس التي يتكون فيها مترجمون موجهون إلى العمل في مؤسسات خصوصية أو منظمات عمومية. وقد ترجم كثير من النصوص الطبية والعلمية اليونانية ترجمة شديدة الحرفية في العصر الوسيط ببغداد وطليطلة.

فينبغي أن تعد ترجمة النص التداولي «إخفاقا تاما» متى كانت غير صحيحة غير مضبوطة غير وجيهة. تلك الإخفاقات المطلقة، على قلتها بالقياس إلى كثرة الوثائق التداولية المترجمة، يستلذها قناصو الجواهر. وأشهر أمثلتها (الحقيقية) ما زال هو هذه العبارة الملصقة على صندوق منتوجات تركية موجهة إلى التصدير: Made in Turkey / Fait en Dinde («صنع في تركيا / صنع في الديك الرومي»). هذه الرسالة لا يمكن أن يفهمها من لا يعرف الإنجليزية. هي لا-ترجمة. هاهنا لا-تواصل. ويمكن الجزم، بالجملة، بأن ترجمات النصوص التداولية تكون «موفقة» مع تفاوت، أي أنها تكون وجيهة بالمعنى المذكور قبل، وإن كانت بدرجات متفاوتة غير أنيقة ومتعثرة ثقيلة شاحبة بالنظر إلى استغلال المترجم لإمكانات اللسان، وإن كانت أيضا تتضمن عددا متفاوتا من المعاني الخاطئة أو المعاني المضادة. هل تعد ترجمةً رديئة وثيقةٌ مترجمة في ثلاثمائة صفحة لا تنطوي إلا على معنيين مضادين أو ثلاثة؟ في هذا الجنس من الترجمات

ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار درجة التسامح (المقبولية) التي من شأن القراء أن يرتضوها. هذا هو الواقع اليوم، وكذلك كان بالأمس. صحة المحتوى وامتثال القيود اللسانية والوجاهة الوظيفية هي المعايير الثلاثة الأهم التي تعرض عليها ترجمات النصوص التداولية لمعرفة حظوتها عند الجمهور من عدمها.

الترجمة الأدبية «الجيدة» و«الرديئة»

وليس الأمر كذلك في الأعمال الأدبية. ذلك أن تقويمها أعقد بكثير، لأن الكتابة تقع على الحدود بين اللسان والخطاب. كانت دراسة تاريخ الترجمة إلى يومنا هذا تعتمد أكثر على مفاهيم لسانية لا على مفاهيم أدبية حقا. وعلى امتداد التاريخ - وفي إعادة قراءة مقدمات المترجمين كفاية - حللوا النصوص المراد ترجمتها كأنها متتالية من ألفاظ وأقوال ينبغي نقلها إلى لسان آخر؛ لذلك كانت العناية بفقه اللغة مفرطة.

أخذنا تعريفي الترجمة الأدبية «الجيدة» و«الرديئة» عن هنري ميشونيك: ففي كتابه «شعريات الترجمة»[18] فتح سبيلا أصيلا وإن لم يخل من تشدد للخروج من دوامة ثنائية المضمون والشكل لأنها ثنائية معقمة هي منبع الخطاب الثنائي في الترجمة. التفكير الثنائي في الترجمة درب موطوء تكثر فيه المقابلات الثنائية: الأمانة للألفاظ / الأمانة للمعنى، الأمانة للمؤلف / الأمانة للقراء، ترجمة حرفية / ترجمة حرة، معادلة شكلية / معادلة حركية، ترجمة دلالية / ترجمة تواصلية، تأصيلي / تهديفي، ترجمة مركزية العرقية / ترجمة تغريبية. وما زالت اللائحة طويلة. هذه الهندسة ذات الحدين التي تتردد في تاريخ الترجمة تجر أيضا في أذيالها المقابلة بين الأصل والنسخة، على أن الأصل منتوج ذو قيمة والنسخة منتوج فرعي مشهور الزيف.

لهنري ميشونيك شعريات تعنى عناية خاصة بالإيقاع والشفهية محمولين على معنيين خاصين، يجتهد فيها أن يقف على قيم الأعمال الأصلية، وهي قيم أقوى من صورها الممسوخة المعتادة التي تسم الترجمات التهديفية الشارحة. وتقويم الترجمة بواسطة مفاهيم تلك النظرية ليس هو السعي في أن تعرف كيف رد معنى الألفاظ، بل معنى النصوص. والفرق بينهما عظيم. ففي تلك الشعريات تكون «رديئة» تلك

«الترجمة التي تحل محل شعريات (النص) انعدام الشعريات؛ [...] الترجمة التي تحل محل الإيقاع والشفهية، أي محل دلالة المتصل، منفصل الدليل؛ التي تحل محل التئام نظام خطابي، يتماسك فيه كل شيء فيكون له معنى، هدما لذلك النظام، إما هدمه باشتقاق صوري مزعوم ونسخ (وهو ما يسمى الترجمة الحرفية)، وإما هدمه بنزعة تداولية تعتقد أنها فهمت كل شيء لأنها لا تعرف إلا المعنى ولا تبالي إلا به؛ [...] الترجمة التي تحل محل مخاطرة الخطاب مخاطرة

ذاتية مفرطة للغة، محل تاريخيته القصوى، وبها وحدها يكون نصا، سلطة اللسان والذوق السائد وضمانتهما؛ الترجمة التي تحل محل الغيرية الهوية، ومحل التاريخية الوقتية [...] أو تنزع التاريخية، وإن قنعت ذلك بقناع العتاقة [...]». (ميشونيك 1999:130).

الترجمة «الرديئة» لا-نص. ترد معنى الأصل، وإياه وحده. تخون العمل إذ تحرمه من كتابته. أعد قراءة Les testaments trahis «العهود المنقوضة» لميلان كونديرا (Milan Kundera)(1993). هي تفكيك للكتابة، شبه ترجمة. صوت المؤلف الأصلي شوهه مترجم خلخل، في مستويات مختلفة ولغير علة سوى الكتابة «بفرنسية جيدة»، علامات تنقيط الأصل أو الفقرات أو عدد الجمل أو التكرارات الدالة (في صلب النظام) أو إيقاع الجمل أو الأبيات. هذا المترجم الناطق من بطنه لا تؤثر فيه الأجراس ولا المزاوجات المتعددة ولا الشبكات المعجمية أو الدلالية التي تخترق النص. فيخرج من ذلك كله لا-نص. والنصوص التداولية نفسها لا تخلو من التئام داخلي، من «عضوية» ينبغي المحافظة عليها. ما أكثر ما قلنا لمجموعات طلبتنا في بداية تعلمهم: «أعطيتكم نصا تترجمونه وأعطيتموني جملا متتالية. أعطوني نصا».

وفي «الترجمة والرسالة أو الخان الشطون» La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain، وقف أنطوان بيرمان على ثلاث عشرة «نزعة مشوهة» تهدم «الحرف» إبقاء على «المعنى» و«الشكل الحسن»، وحللها. وهذه عدتها[19]: «العقلنة» (إعادة ترتيب نظام الخطاب - البنية التركيبية وعلامات التنقيط)، و«الإيضاح» (شرح مفرط لما ينبغي أن يظل ضمنيا)، و«التمديد» (لغو باطل بالجملة، يترتب في الأغلب على النزعتين السابقتين)، و«التعظيم» و«التبسيط» (بلاغة زخرفية وأسلوب جميل، أو لجوء إلى عامية مزعومة، إلى لهجة محلية مزورة)، و«الإفقار النوعي» (الإتيان بألفاظ أو عبارات ليس فيها ما في الأصل من غنى صوتي أو من قوة دلالية)، و«الإفقار الكمي» (افتقار معجمي، إحلال مرادفات محل تكرارات دالة)، و«المجانسة» (توحيد على كافة الأصعدة لنسيج النص الأصلي المختلف الأجناس)، و«هدم الإيقاعات»، و«هدم الشبكات الدلالية المتضمَّنة» (الشبكات المعجمية)، و«هدم النزوع إلى النظام» (أصناف الجمل، البنى الخاصة)، و«هدم الشبكات البلدية أو تغريبها» (محو المستويات التعبيرية، أو على العكس إبراز لسمات الغرابة في الأصل)، و«هدم العبارات والمسكوكات»، و«محو تراص الألسن بعضها فوق بعض» (اللهجات الجهوية في اللسان الواحد، كلهجات الفرنسية المتعددة) (بيرمان 1999:52-57).

والترجمة «الجيدة» على العكس هي «الترجمة التي تخترع شعريات خاصة بها بالنظر إلى شعريات النص، وتحل محل حلول اللسان مسائل الخطاب، وتذهب إلى اختراع مسألة جديدة، كما اخترعها العمل الأصلي؛ الترجمة التي يكون النص وحدتها، فتحافظ على الغيرية بما هي غيرية. تكون، بوسائلها الخاصة بها، تاريخية عوض تاريخية» (ميشونيك 1999:130). لا تعاد

الترجمة الموفقة. تكون لها تاريخية الأعمال الأصلية، وتكون هي عملا، ومن حيث هي كذلك يطول عمرها شأن كل عمل أصيل، لأن كليهما كتابة. تلك الترجمة ترد قصيدة بقصيدة، ضرورة بضرورة، تحفظ للعمل تعدد معناه وانبثاق المعنى[20] فيه. تحيا النصوص الكبرى حيوات متعددة، منها حياة الترجمات الجيدة.

يتبين أن إحصاء مساوئ الترجمة «الرديئة» أيسر من تعداد محاسن الترجمة «الجيدة». ولذلك سبب، هو أن المساوئ تشترك فيها كافة الترجمات المخفقة، بيد أن الترجمة الموفقة، الترجمة-العمل، تكون فريدة، تكون دائما جيدة على طريقتها هي. والخطر المحدق بالنص المترجم هو أن يفقد هويته الخاصة (ما هو به نص متميز)، أن ينفصل عن الكلية الثقافية والأدبية التي تعطيه معناه. وما أكثر الترجمات المرغوب عنها لأنها بقلم مترجمين غير مهرة يسعون مع ذلك جهدهم في أن يكون للأعمال الأجنبية حق الرواج في الثقافة المستقبلة...

النص الأدبي، في الواقع، شبيه بآلة موسيقية متعددة الأوتار: فلترجمته لا مناص من ضربها كلها حتى تسمع كل ما في العمل المترجم من توافق نغمي. فإن لم تحرك سوى وتر المعنى فقد عزفت اللحن، إلا أنك لم تسمع جمال مواطن الصمت المتوارية بين الألفاظ. والموسيقى برمتها تكمن بين النغمات. وموزارت (Mozart)، العارف بالموسيقى، كان يعتقد ذلك. ترجمة مواطن الصمت هو عرضها على السمع؛ هو أن تترك النص يتكلم. ونستمر في تلك الاستعارة فنقول: المتباينات وكافة «النزعات المشوهة» نغمات نشاز. والترجمة المخفقة قطعة موسيقية معزوفة على آلة غير مسواة. فعلى المؤرخ، متى أراد تقويم ترجمة، أن يتنبه إلى ما في شاعريتها من توافق نغمي.

الحواشي

(1) عنوان المقالة الأصلي: Jean Delisle, « L'évaluation des traductions par l'historien »، وقد صدر في مجلة Meta : journal des traducteurs / Meta: Translators' Journal, vol. 46, n° 2, 2001, p. 209-226. والهوامش المتتالية الأرقام للمؤلف؛ وما سواها للمترجم.

(2) في سنة 1803 اتخذ لفظ philologie (فقه اللغة) معنى «الدراسة الشكلية للنصوص في مختلف المخطوطات التي وصلت إلينا»، وله منذ سنة 1818 أيضا معنى «الدراسة العلمية للسان بتحقيق النصوص». وكان معناه القديم، الذي يرقى إلى القرن السادس عشر، أوسع، هو دراسة الشعب الأدبية، وكان أحيانا يضم بعض الشعب العلمية (Le Grand Robert de la langue française, 2e éd. revue et enrichie par Alain Rey, Paris, Le Robert, 1985).

(3) لذلك قال أنطوان بيرمان (Antoine Berman): «ما دام فقه اللغة عاملا في ميدانه هو - في تحقيق النصوص - فذلك من حقه [...]. فإذا هجم على ميدان الترجمة والتعليق أتى بالكوارث. ذلك أن معرفة العمل واللسان معرفة صحيحة لا تؤهل البتة للترجمة والتعليق». وفي الصفحة التالية أضاف المؤلف: «أكبر مشاكل الترجمة اللغوية أنها لا أفق لها. أقصد بذلك لا مبادئ في الترجمة وحسب، بل أيضا ضربا من الرسوب في لسان الثقافة المترجِمة وأدبها. ذلك أن المترجم دائما يترجم انطلاقا من حالة بعينها من أحوال لسانه

وأدبه» (بيرمان 1999:121-122؛ والتنبيه في النص).

(4) Doxa من اليوناني doksa (رأي، ظن، إحساس، اعتقاد)، ومعناه طريقة التفكير المشتركة، الجماعية، المهيمنة في عصر بعينه في مجتمع بعينه (في ثقافة بعينها). هي الأفكار والقناعات والاعتقادات المرتضاة فيهما، وغيرها منبوذ أو مجهول. وهذا المفهوم أصل في تاريخ الترجمة. ذلك أن الذوات المترجمة أوعية تصورات مجتمعهم الرمزية، وهو أمر يحد مما يستطيعون قوله. هذا، ومن شأن المعنى المضاد من الناحية اللغوية أن يكون ترجمة «وجيهة» جدا من ناحية الرأي السائد. عندئذ يمكن أن توصف بأنها ortho-doxe «جارية على الرأي السائد». (مقتطف من عمل قيد الإنجاز موضوعه Notions d'histoire de la traduction «مفاهيم تاريخ الترجمة»).

(5) يؤرخ معجم «روبير الصغير» (Le Petit Robert) لذلك اللفظ بسنة 1908 ويسوق له التعريف التالي: «مذهب يرى أن التاريخ قادر بمفرده على إثبات حقائق إنسانية أو تفسيرها».

(6) الذاتية «أن تنتشر في كافة وحدات الخطاب صفة خاصة باختراع ذات لخطاب، واختراع ذات تتخصص بخطابها. [...] تقتضي ذاتية الخطاب طلب دلالية المتصل (الإيقاعي، العروضي) منتشرة في نسق الخطاب، في استقلال عن كيفية عمله في مستوى اللسان» (ديسون وميشونيك)(Dessons et Meschonnic) 1998:236.

(7) «ليس أكبر محول للترجمة هو المعنى، ليس هو الفروق في المعنى، ليس هو التأويل. بل هو الإيقاع. لا الإيقاع بالمعنى التقليدي، التعاقب الشكلي للشيء نفسه وخلافه، الترتيب، الوزن، المقدار. بل الإيقاع الذي حولته الشعريات، أي تنظيم ذات لخطاب، وتحرك الكلام في اللسان، عروض شخصية، دلالة المتصل» (ميشونيك 1999:131). وعند ميشونيك أن الإيقاع «انتظام للمعنى، انتظام للذات في الخطاب. تحرك المعنى وتحرك الذات في الخطاب» (ميشونيك 1985:43). هو الدال الأكبر في الخطاب.

(8) يفرق هنري ميشونيك بين المكتوب والمنطوق والشفهي. و«الشفهي» عنده هو «كيفية الدلالة المتسمة بأولوية الإيقاع والعروض في تحرك المعنى. [...] الشفهية إنما هي إيقاع بمعنى جديد هو انتظام تحرك كلام في اللغة [...]. والأدب هو الشفهية القصوى» (ديسون وميشونيك 1998:46؛ والتنبيه في النص).

(9) في المتن: La journée n'est pas plus limpide que mes sentiments profonds. (المترجم)

(10) يصرح بعض المؤلفين-المترجمين، ممن لا يذنب بإفراط تواضعه، أنهم «صححوا» شكسبير أو تشيكوف في ترجمتهم... ليسوا المقصود هنا.

(11) نحيل في دراسة ترجمات هذا المؤلف-المترجم الكندي إلى الصورة التي رسمناها عنه تحت عنوان Pierre Baillargeon, traducteur nourricier, littéraire et fictif («بيار بايارجون المترجم المغذي الأدبي الخيالي») (دوليل 1999:259-301).

(12) هو «مجموع المعلومات التي يسجلها المترجم تباعا مع قراءته وتحليله للنص الأصل وعليها يتوقف فهمه» (دوليل ولي-يانكه وكورميه 1999:22).

(13) هو «حاصل اقتصاد يتحقق بعدم الصياغة في النص الهدف لبعض المعلومات في النص الأصل متى كانت جلية في السياق أو في المقام الموصوف ومفترضة عند الناطقين باللسان الهدف» (دوليل ولي-يانكه وكورميه 1999:44).

(12) الدخيلة (ج دخائل) ترجمة للفظ épisode. راجع الترجمة القديمة لكتاب فن الشعر لأرسطو (نشرة عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت (وهي نشرة جديدة غير مؤرخة لطبعة القاهرة، 1953)، 33). (المترجم)

(15) فيما يخص «العهد القديم» وحسب؛ أما فيما يخص «العهد الجديد» فينبغي إبراز ما فيه من «هلينية»، وذاك ما لم نعلم أحدا سعى فيه، إلا أندريه شوراقي (André Chouraqui). لكنه يعتقد أن اليونانية تتوارى تحتها العبرية. (وندع للمتخصصين مشقة الحكم على صحة ما يعتقد.) قال: «عبقرية يوحنا إنما هي

استعمال اليونانية للعبارة عن رؤية عبرية. وتوفق في ذلك بإبداع لسان جديد، ضرب من عبرية-يونانية تنعكس فيها السماء العبرية في مرآتها الهلينية. هو عمل رجل من بني إسرائيل ضليع في الآداب العبرية ضلوعه في الآرامية ولا يريد كتم شيء عن جذوره [...]. يورد في نصه ألفاظا عبرية أو آرامية، مصحوبة بترجمتها. [...] والعبريون، وإن عبروا أو كتبوا بالآرامية، يفكرون بلسان الكتاب المقدس، أي بالعبرية. والأساس اللغوي عند يوحنا هو العبرية، سواء وجدت وثيقة قبله مكتوبة بذلك اللسان أم لم توجد. ويصدق هذا الرأي، بدرجات متفاوتة، على كافة كتب «العهد الجديد» (شوراقي 1989:2059). وترجمة شوراقي هي أيضا محررة في «لسان جديد»، مزيج مدهش من اليونانية والعبرية والفرنسية. بقي أن نعرف هل ذلك اللسان قروء وعلى الخصوص هل يمكن من امتثال «وظيفة» النص الذي رام خدمته. وللحكم على ذلك إليك الآيات الخمسة الأولى من «إنجيل» يوحنا بترجمة شوراقي:

1. Entête.
1 Entête, lui, le logos et le logos, lui, pour Eloîm, et le logos, lui, Elohîm
2 Lui entête pour Elohîm.
3 Tout devient par lui ; hors de lui, rien de ce qui advient ne devient.
4 En lui la vie — la vie la lumière des hommes.
5 La lumière luit dans la ténèbre, et la ténèbre ne l'a pas saisie (Chouraqui 1989:2061)

1 في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله. 2 هذا كان في البدء عند الله. 3 كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان. 4 فيه كانت الحياة، والحياة كانت نور الناس، 5 والنور يضيء في الظلمة، والظلمة لم تدركه.)
هنا يتجلى حقا معنى قولهم: C'est de l'hébreu («هذه عبرية» = هذه رطانة، بربرة).

(16) الحُمَر: ضرب من القار كثير في تلك البقعة لوجود النفط. (المترجم)

(17) «نص تكون منفعته في الأغلب مباشرة ومؤقتة، ويصلح لنقل معلومة عامة أو خاصة بمجال من المجالات، ولا يكون المظهر الجمالي فيه هو المظهر المهيمن» (دوليل ولي-يانكه وكورميه 1999:81).

(18) ليس ذلك العمل كله أصيلا، إلا أنه موجز جيد لرأي مؤلفه في الترجمة. جمع فيه عدة مقالات سبق نشرها في دوريات وغيرها منها، Meta (1995)، la Revue d'esthétique (1987)، le Bulletin A. T. L. F. (1986)، Le Texte en mouvement (1987)، Poésie et altérité (1990)، Sud (1987)، Texte (1985)، Les Tours de Babel (1985)، Antoine Vitez, le devoir de traduire (1996)، Corps écrit (1982).

(19) راجع أنطوان بيرمان، «الترجمة: اختبار الأجنبي»، ترجمة محمد الزكراوي، مجلة «العربية والترجمة»، بيروت، لبنان، السنة الخامسة، العدد 16، شتاء 2014، 119-138. (المترجم)

(20) يقابل هنري ميشونيك «انبثاق المعنى» بالمفهومين التقليديين «الدلالة» و«المعنى». ويقصد بذلك المصطلح «الإيقاع والعروض اللذين يمر عبرهما كل ما يكون له معنى، وهو يتجاوز دائرة المعنى التقليدية، ومستوياته اللسانية» (ميشونيك 1999:319)، كالألفاظ والمركبات والجمل. والحفاظ على «انبثاق المعنى» هو غاية الترجمة. هي نتيجة الإيقاع الذي ينتظم المعنى في الخطاب. «انبثاق المعنى» إيقاعٌ-معنى. [راجع مقالة بنفنست «Sémiologie de la langue» الشهيرة في الجزء الثاني من كتابه Émile Benvéniste, Problèmes de linguistique générale: فهو أول من استعمل ذلك اللفظ. ومعناه ما به تحدث الدلالة، ما به تكون الدلائل ذات معنى؛ ولك أن تترجمه بقولك: «القابلية للمعنى». (المترجم)

المراجع

- Aulotte, R. (1986): «Amyot et l'humanisme français du XIe siècle», Fortunes de Jacques Amyot (M. Balard, dir.), Paris, Nizet, p. 181190-.
- Bachet de Méziriac, C. -G. (1998): De la traduction [1635], fac-similé de l'éd. publiée dans G. Ménage, Menagiana, t. II, Arras, Artois Presses Université; Ottawa, Presses de l'Université d'Ottawa.
- Balard, M. , dir. (1986): Fortunes de Jacques Amyot, Paris, Nizet.
- Berman, A. (1999): La traduction et la lettre ou l'auberge du lointain, Paris, Seuil, coll. «L'ordre philosophique».
- Berner, C. (1999): «Le penchant à traduire », dans F. Schleiermacher, Des différentes méthodes du traduire, trad. A. Berman, et Sur l'idée leibnizienne, encore inaccomplie, d'une langue philosophique universelle, trad. C. Berner, Paris, Seuil, coll. «Points essais », no 402, p. 1126-.
- Chapiro, M. (1956): «Avant-propos», dans Fedor Dostoïevski, Les frères Karamazov, trad. M. Chapiro, Lausanne, La Guilde du Livre, p. 1314-.
- Chavy, P. (1988): Traducteurs d'autrefois. Moyen Âge et Renaissance, Paris, Champion ; Genève, Slatkine, 2 vol.
- Chouraqui, A. (1989): La Bible, Bruxelles, Desclée de Brouwer.
- Delisle, J. , dir. (1999) : Portraits de traducteurs, Ottawa, Presses de l'Université d'Ottawa ; Arras, Artois Presses Université, coll. «Regards sur la traduction».
- —-, H. Lee-Jahnke et M. C. Cormier, dir. (1999): Terminologie de la traduction / Translation terminology / Terminología de la traducción / Terminologie der Übersetzung, Amsterdam, John Benjamins, coll. «FIT Monograph / Collection FIT», no 1.
- —- et J. Woodsworth, dir. (1995): Les traducteurs dans l'histoire, Ottawa, Presses de l'Université d'Ottawa ; Paris, UNESCO, coll. «Pédagogie de la traduction».
- Delsalle, P. (2000): Les documents historiques, Paris, Ophrys, coll. «Documents et histoire».
- Dessons, G. et H. Meschonnic (1998) : Traité du rythme. Des vers et des proses, Paris, Dunod.
- Doyle, sir A. C. (1933): Une étude en rouge, trad. R. Lécuyer, Paris, Librairie des Champs-Élysées, coll. «Le Masque».
- —- (1956): Étude en rouge, trad. P. Baillargeon, dans Œuvres complètes, t. 1, Paris, Robert Laffont, p. 15147-.
- —- (1997): Une étude en rouge, trad. C. Richard, dans Arthur Conan Doyle : Sherlock Holmes, t. 1, Paris, Masque-Hachette Livre, p. 9134-.
- Fleg, E. (1959): La Bible. Le livre du commencement, trad. de l'hébreu E. Fleg, Paris, Éditions de Minuit, coll. «Aleph», no 3.
- Irigoin, J. (1999): « La restitution des textes antiques», Pour la science, no 256, p. 6066-.
- Kundera, M. (1993): Les testaments trahis, Paris, Gallimard.

- Le Goff, J. (1985): Les intellectuels au Moyen Âge, Paris, Seuil, coll. «Points histoire», no H78.
- Meschonnic, H. (1973): Pour la poétique II, Paris, Gallimard.
- —– (1985) : Les états de la poétique, Paris, Presses universitaires de France, coll. «Écriture».
- —– (1999): Poétique du traduire, Paris, Verdier.
- Mounin, G. (1994): Les belles infidèles, Lille, Presses Universitaires de Lille, coll. «Étude de la traduction».
- Plutarque (1951): Les vies des hommes illustres, éd. G. Walter, trad. Jacques Amyot, Paris, Gallimard, coll. «Bibliothèque de la Pléiade», nos 4344-.
- Schleiermacher, F. (1999): Des différentes méthodes du traduire, trad. A. Berman et Sur l'idée leibnizienne, encore inaccomplie, d'une langue philosophique universelle, trad. C. Berner, Paris, Seuil, coll. «Points essais», no 402.
- Second, L. (1955): La Sainte Bible qui comprend l'Ancien et le Nouveau Testament traduits sur les textes originaux hébreu et grec, Genève, La Maison de la Bible.
- Steiner, T. R. (1975): English Translation Theory 16501800-, Assen and Amsterdam, Van Gorcum, coll. «Approaches to Translation Studies», no 2.